

رسومات الحائط عند تلاميذ المدارس - تواصل وتعبير وتنفيذ.

## Wall drawings for schoolchildren communicate, express and vent.

د. سميرة مراح<sup>1</sup>، أ. سعاد مسعودة سايفي<sup>2</sup>

<sup>1</sup> مركز البحث في العلوم الإسلامية، الأغواط (الجزائر)،

ikramsalira@gmail.com

<sup>2</sup> جامعة الجزائر 2 (الجزائر)، saighi.souad@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2023/02/26 تاريخ القبول: 2023/09/06 تاريخ النشر: 2023/10/06

ملخص: انتشرت الكتابات والرسومات الجدارية في صفوف الشباب والمراهقين، خاصة المتدربين منهم، كوسيلة للتعبير عن أفكار معينة، وتعبيرا عن ما يجول في النفس من خواطر ومكنونات، إضافة إلى أنها تعدّ وسيلة ناجعة للتخلص من الشحنات والمكبوتات التي تعترى أنفسهم، وقد كان لهذه الظاهرة عدّة أسباب، من أهمها: عدم الرضا بالواقع المعيش، وقلة اهتمام الوالدين، وغيرها من الأسباب والدوافع، التي جعلت من تلاميذ المدرسة يجدون في فضاء المدرسة متنفسا لهم مما يعانونه من مشكلات نفسية واجتماعية وثقافية.

كلمات مفتاحية: الجداريات، المتعلمون، المدرسة، الأسباب، الحلول.

### Abstract:

The literature and wall paintings have spread among young people and adolescents, especially those who teach them, as a means of expressing certain ideas, an expression of what is going on in the soul from thoughts and potentials. In addition, Dissatisfaction with the reality of living, and lack of interest of parents, and other reasons and motives, which made the schoolchildren find in the school space for them to suffer from psychological, social and cultural problems.

**Keywords:** Murals, learners, school, causes, solutions.

\*المؤلف المرسل: د.سميرة مراح

مقدّمة:

تعتبر الكتابات والرسومات الحائطيّة أو الجداريات من أهمّ وسائل التّواصل التي عرفها الإنسان البدائيّ، والتي عادت للظهور من جديد في وقتنا الحاليّ، حيث كانت قديماً تُستعمل من أجل التّواصل، ذلك أنّ الإنسان الأوّل لم تكن تتوقّر له اللّغة في شكلها المنطوق أو المكتوب، من أجل أن يعبر أو يتواصل بها، مثلما نفعله نحن اليوم، والحقيقة أنّ عودة بعض النّاس للتّواصل أو التعبير عن طريق الكتابات أو الرسومات الحائطيّة - رغم وجود اللّغة - يعود لأغراض عديدة، من أبرزها: التّواصل مع غيرهم، هذا التّواصل الذي يختلف اختلافاً كبيراً عن التّواصل عن طريقها قديماً، ذلك أنّه نوع من التّواصل تكون فيه الرسالة حاضرة وموجّهة إلى المرسل إليه، مع تخفي المرسل، وعدم ظهوره للعيان، إذ أنّه يرسم أو يدوّن رسالته بعيداً عن الأنظار، إضافة إلى ذلك فهي تُعتبر وسيلة من وسائل التّعبير عمّا يجول في نفس المرسل، الذي تمنعه لا محالة عدّة عوامل من التّعبير علناً أمام النّاس جميعاً، فهو يجد راحته في التّعبير من خلال هذه الجداريات، التي تُعتبر من جهة أخرى وسيلة من وسائل التّنفيس عن تلك النّفس التي تخطّ هذه لرسومات والكتابات بأصابع يدها، نفسٌ تعاني لا محالة من الضيق، ولا تجد فُسحة غير هذه الجداريات التي تبوح من خلالها عمّا يعتريها من أفكار، وما يُدميها من مشاعر وأحاسيس.

والواقع أنّ هذه الجداريات كانت محلّ اهتمام كلّ فئات المجتمع، فقد اهتمّ بها الكبير قبل الصّغير، بل وأصبحت ملاذاً لكلّ من يريد التعبير عمّا في نفسه، خاصّة: تلاميذ المدارس، في مرحلتي التعليم المتوسّط والثانويّ، فهؤلاء يمكن اعتبارهم من الأشخاص الصّغار الكبار، إنهم مراهقون رافضون لكلّ

الأوضاع، وساخطون على كلّ القوانين التي تحكمهم، بل والتي تحكم المجتمع ككلّ، فهم دائما ينشدون الحرّية، التي لا تتسنى لهم أبدا أمام سُلطة الآباء والمجتمع والمدرسة، لذلك نراهم دائما يُوقَّعون كثيرا من أحلامهم وآلامهم في شكل رسومات أو كتابات على جدران مدارسهم.

ومن أجل ذلك سنحاول الإطّلال على واقع الكتابات والرسومات الحائطيّة داخل مدارسنا، محاولين الإجابة عن مجموعة من الأسئلة، من أهمّها: ما الكتابات الحائطية وما الرسومات الجدارية؟، وما نسبة ورودها في المؤسسات التربوية؟، وما أهم أسباب لجوء المتدريسين إليها؟، وما أهم الدلالات السيميائية لهذه الكتابات والجداريات؟.

### تعريف الكتابات والرسومات الحائطيّة:

هناك من عرّف الكتابات والرسومات الحائطيّة بأنّها: "كتابة أو تسجيل أو نقش على الحجارة أو الجدران أو الأبواب أو محطّات الحافلات، وبصفة عامّة في الأماكن العموميّة" (Giroddet.J, 1994, p. 95)، والواقع أنّه لا يوجد تعريف واضح لمصطلح الجرافيتي، الذي يعبر عن الكتابة أو الرّسم على الجدران في القواميس العربيّة، لأنّه في الأصل لم يعرفه العرب، بل تناقلوه عن البلدان الأخرى، ولو أردنا إعطاء تعريف له يمكننا القول أنّه: عمليّة تواصلية، تتكوّن من المرسل والأداة والرسالة والمرسل إليه، يعتمد فيها المرسل إلى كتابة جُمْل أو كلمات على الجدران، بغرض إيصالها إلى المستقبلين، وكذلك قد يعتمد على الرسم الذي يساعده على نقل الفكرة ليفهمها الطرف الآخر، فهو "نوع من الخطاب الكتابيّ اللامشروع اجتماعيّا، والذي يتّخذ من الجدران وما يمكن أن يحلّ محلّها مكانا للتعبير عن نفسه، ويتضمن كل ما من شأنه أن يلحق ضررا معنويا أو ماديا بالمرافق والأشخاص والمجتمع كلّ، ويكون نتاج دوافع عديدة: ذاتية واجتماعية" (الدين و براهيمي ، 2003 ، صفحة 305). وبما أنّه يحوي كتابات أو رسومات أو

مزيجا بينهما، فهناك من اعتبره رسما أو نقشا أو كتابة أو حتى حكاً سطح، كما أنه وسيلة بسيطة للتواصل والتعبير، لا يحتاج المرسل إليه إلى جهد أو وقت كبير من أجل فك رموزه وشفراته، إضافة إلى ذلك يمكن اعتباره رسالة دالة على مواقف أو آراء موجّهة للناس، سواء كان هؤلاء الناس مقصودين أو غير مقصودين، من أجل الوصول إلى تبليغهم فحوى الرسالة - المكتوبة أو المرسومة-

ومن المعلوم أنّ أول ظهور للكتابات كان على شكل نقوش وجدت في الكهوف والصخور، ثم عاد هذا النوع من التعبير إلى الوجود في الولايات المتحدة الأمريكية، فأصبح "... تعبيرا للإنسان كأحد المبررات الذاتية عن سلوكه الناتج من التمرد على ذاته والمجتمع، فهو فنّ حقيقيّ يحمل في طياته رسالة إلى المجتمع الإنسانيّ..." (صالح، 1985م، صفحة 15). ثم انتقل إلى جميع بلدان العالم بما فيها الدّول العربيّة. وقد "... كان عبارة عن رسوم على الجدران، يتمّ رسمها ورشّها بالبخاخ وبمساحات كبيرة، وأبرز من تناولها الصحفيون الشعبيون والتقليديون، ولقد تمّ الاعتراف بها مؤخرا كأحد أنواع الفنون المتحضّرة المثيرة للجدل، وذلك لتغيّر مفهوم الفنّ وانتقاله من الثّوابت إلى المتغيّرات، إذ تغيّرت الرؤية الفنيّة وانتقلت من الانفعال والتلقي إلى المشاركة والفعل..." (عفيفي، 1997م، صفحة 75). ومن هنا يمكن أن نميّز بين نظرتين لهذا النوع من الكتابات أو الرسومات: فهناك من يرى أنّه اعتداء على ملكيات الآخرين، وفيه كثير من التّشويه للمنظر العام للمدينة، نظرا لتشويهها المنظر الخارجي فقد كانت مرفوضة رفضا تاما من طرف السلطة ومن طرف عامة الناس، لأنها تعتبر شكلا من أشكال العنف الرمزي، وهناك من يرى أنّه فنّ يجب الاعتراف به، مادام ينقل فكرا ما وثقافة معيّنة، تخصّ فئات من المجتمع. ومن هذا المنطلق يمكن التّمييز بين نوعين من الكتابات أو الرسومات الحائطيّة: فمنها ما هو هادف موجّه، مثل العبارات التي توجّه إلى ضرورة عدم رمي النّفايات وجعلها في الأماكن المخصّصة لها، ومنها ما

يمكن أن يُعتبر سينا أو ماجنا خادشا للحياء، مثل عبارات السبّ والشتم، والرسومات الدنيئة التي يستحي المرء من النظر إليها. ولابدّ من الإشارة إلى أنّ هذا النوع من الجداريات نجده بكثرة في الأحياء الشعبيّة، التي يعاني سكانها من الفقر والمشاكل الاجتماعيّة على اختلاف أشكالها وألوانها، حيث عبّرت عن انتقاد بعض التصرفات ورفض التهميش والسيطرة إضافة إلى التعبير عن مختلف المشكلات التي يعاني منها الشباب، ف".... عادة ما تظهر من خلال رسوم عشوائية، وكتابات متداخلة، وذات مستوى رديء، تعبّر غالبا عن لغة، وثقافة أحيائها الشعبيّة، وبنوعية محيطها الحضري، بأبعاده الجماعية والهندسية" (الزبيدي، صفحة 30). ومن هنا يمكن القول بأنّ الجرافيتي شكل من أشكال التعبير يعتمد بالدرجة الأولى على المرسل الذي يريد نقل مكنونات نفسه وخوالجها إلى المرسل إليه، رغبة منه في إيجاد نوع من التّواصل مع غيره ممّن لا يستطيع التّواجه معهم لعدّة أسباب، وبفراغنا من الحديث عن الجرافيتي سننتقل إلى الإطلال عليه كظاهرة أصبحت تُعرف بها مدارسنا العربيّة.

الجداريات في المدرسة: عند حديثنا عن الرسومات الحائطية لا يجب أن نهمل أننا نتحدّث عن سلوكات شبابيّة يقوم بها مراهقون، والتي تعتبر".... من أصعب الأمور فهما بالنسبة للأجيال التي تقوم بملاحظتها، بحيث تدفع بنا هذه السلوكات إلى التّقصي في المسارات الحياتيّة لهذه الفئة، وملاحظة علاقاتهم مع الزمن، وبالخصوص الطرق المعتمدة في رسم مستقبلهم" (حمدوش، 2009م، صفحة 176)، وهذه السلوكات تظهر من خلال كتاباتهم ورسوماتهم الحائطية، إذ لا أحد يُنكر أنّ جدران مدارسنا لا تكاد تخلو من الرسومات والكتابات الحائطية، بل تكاد تملأ كلّ مكان يصلح للكتابة، ومن أمثلة ذلك: الطاولات والكراسي، والتّوافذ والأبواب وغيرها، ممّا يمكن أن يترك فيه المتعلّم بصمته: كتابة أو رسما، حيث يعبّر بصمته عن كلّ ما يدور في رأسه من أفكار وفي نفسه من مشاعر، فهو يكتب

بخفية وسرعة، وما يكتبه يكون مختصراً يُقرأ بسرعة ويُفهم بصورة أسرع، وما يفعل ذلك إلا رغبة في الاختصار، وخوفاً من تعرّضه للعقاب من طرف إدارة المدرسة، التي يعتبرها السلّطة التي تُضاعف قلقه وتوتّره بسبب كثرة القوانين التي تفرضها عليه.

ولا يمكن أن نُغفل ونحن نتحدّث عن الكتابات والرسومات في الوسط المدرسيّ نوعيّة المرسل والأماكن التي يكتب عليها رسالته، حيث نجد أنّ أغلبيّة الذكور يكتبون على الجدران، وفي الأروقة، وربّما على الجدران الخارجيّة للمدرسة. أمّا الإناث فنجد أنّهنّ يكتبن أو يرسمن في الأماكن الضيقة والمختفية، مثل: جدران دورات المياه، أمّا عن نوعيّة الكتابات والرسومات فنجد أنّ الذكور يكتبون عبارات مشجّعة للفرق الرّياضيّة الذي يُشجّعونها، وعبارات أخرى سيّئة ومهاجمة للفريق الخصم، كما يكتبون ويرسمون عن الحبّ والغزل، والغدر والخيانة، وقد يكتبون كلمات لبعض الأغاني التي تستهويهم، إضافة إلى عبارات الهجرة، تلك الظاهرة التي أصبحت حلماً بالنسبة لكلّ واحد منهم، أمّا البنات فغالبا ما يكتبن عن الحبّ والعاطفة، وربّما يدوّن أسماء مشاهير كرة القدم والممثلين والفنّانين، فنجد " الباحثة السوسولوجية الجزائرية فاطمة أوصديق في بحث لها عن الخريشات الحائطيّة... تبينّ فيه أن الغالبية الساحقة من المخربشين les tagueurs هم من الذكور، وأغلبهم ما بين الثالثة ثانوي والجامعة، من طبقات اجتماعية متوسطة الحال... والملاحظ أيضا أن هواية الكتابة على الجدران لا تقتصر على الذكور من الشباب فقط، وإنما للفتيات نصيب من ذلك، ويكمن الفرق هنا أنّ الذكور يجدون مساحات أوسع، كالطرق والجدران العامة مكانا مناسباً لهم، بينما الإناث يمارسها بطريقة سرّية، فيكتبون على جدران المراحيض العمومية ودورات المياه" (جبار، 2013-2014، الصفحات 62-63). وممّا يشترك فيه الطّرفان عبارات السّخط على أوضاع المدرسة، وعلى الطّاقم الإداريّ

والتربوي، خاصة الأساتذة الذين يعتبرونهم أعداءً، بما أنّهم يطبقون عليهم القوانين الصّارمة ويضيقون عليهم الخناق - على حدّ تعبيرهم - وهذا النوع من الكتابة والتعبير يتخذ طابعاً عنيفاً بعيداً عن التربية والأخلاق التي يتعلمونها.

أمّا عن الأدوات التي يستعملها هؤلاء الجداريون المتمدرسون فلا تتعدّى أقلام الرصاص أو الأقلام التي يكتبون بها، أو حتى استعمال بعض الألوان والمصحح الذي يكتبون به خاصة على الطاولات، أو الأماكن المدهونة بدهان غامق اللّون، ولا يمكن أن ننسأ أبداً في هذا المقام المرسل إليه الذي توجّه إليه رسائل التلاميذ الجداريّة، ذلك الشّخص الذي يشعر المتعلّم إزاءه بالرّغبة في الانتقام، مع عدم القدرة على مصارحته بما يريد قوله أو فعله، والمرسل إليه في المدرسة يكون: الطاقم الإداري بما فيه: المدير والمراقب العام والمراقبون والطاقم التربوي الذي يتضمن الأساتذة، إضافة إلى زملائهم الذين يدرسون معهم، مع توجيه رسائل أخرى إلى المجتمع وبفراغنا من الحديث عن نوعية الكتابات والرسومات الجدارية الموجودة في الحرم المدرسيّ سننتقل للحديث عن أهمّ الأسباب التي تدفع المتعلّمين إلى الكتابة والرّسم على الجدران.

أسباب لجوء المتمدرسين إلى الكتابة والرّسم على الجدران: لا يمكن أن تختلف الدوافع والأسباب المؤدّية بالمتعلّمين إلى الكتابة أو الرّسم على الجدران عن تلك الأسباب الدافعة لعامة النّاس إلى فعل ذلك، ولا يمكن أن تخرج بأيّ حال من الأحوال عن الأسباب النّفسيّة والاجتماعيّة الثّقافيّة والسياسيّة.

من المعلوم أنّ شعور الإنسان بالرّضا يحقّق له "... قدراً معقولاً من التوافق النّفسيّ، يكفل له قدراً مناسباً من الصّحة النّفسيّة، ويجعل منه إنساناً سويّاً يستطيع أن يواجه ما يعترض سبيله من عقبات ومشكلات، مما يساعد على أن يسلم من الاضطراب والأمراض النفسية العقلية، وأن يكون بالتالي عضواً نافعا للمجتمع..." (برود، 1993م، صفحة 105)، وإن لم يكن كذلك فإنّه يصبح

إنسانا مذنب المشاعر، هاربا منها إلى ملاذ آخر لعلّه يجد فيه المتنقّس، حاله حال تلاميذ المدرسة المراهقين، الذين يلجؤون إلى الكتابة على الجدران والرّسم عليها تعبيرا عن حالتهم النّفسيّة، ومن أهمّ الأسباب النفسية التي يعاني منها المتمدّرس: حالة الانفعال الزّائد، إضافة إلى حالة القلق التي يعيشها، وشعوره بالإحباط، والتوتر، وبالحساسية الزّائدة إزاء أيّ موقف، زد على ذلك الهروب من الواقع، تعبيرا عن آمال، أو إعلانا عن أحلام لم تتحقّق، أو مستحيلة التّحقّق، لذلك تُعتبر الكتابات إشباعا لرغبات التلميذ حيث ينشد الحب والحرية والهروب من السلطة: سلطة المدرسة وسلطة المجتمع بعاداته وتقاليده، ممّا ينتج عنه حالة من الاحتجاج والنقد الصّامت الذي يمارسه من خلال الكتابة أو الرّسم على الجدران، ويكون الغرض منها التنفيس عن النفس وإفراغ للشحنات المكبوتة، والحقيقة أنّ هذا النوع من الرسومات كثيرا ما نجد المتعلّم يمارسه في آخر ورقة من كراسه أو كتابه، ثمّ ينتقل به إلى طاولته، وإلى الجدران الموجودة في الوسط المدرسيّ، رغبة في إبراز الحقد والكره لسلوكات معينة يراها ولا يرضى عنها، وتنفيذا لحالة الضيق والغضب التي يعاني منها، وربما تقليدا للأخرين ممّن مارسوا هذه الهواية على مرأى من عينه. تلك هي إذن أهمّ الأسباب النّفسيّة الدافعة للمتعلّم لممارسة هواية الجرافيتي، والتي تشدّ عضدها أسباب أخرى، من أهمّها: الأسباب الاجتماعيّة الثّقافيّة الناتجة عن أوضاع سياسية ما.

وتعتبر الكتابات والرسومات الحائطيّة طريقة شعبيّة في التّعبير عن الرأى، وتلاميذ المدرسة باعتبارهم فئة هامّة في المجتمع، تعاني من نقص أو غياب حرية التعبير، لذلك نراهم ينتقدون الأوضاع الاجتماعيّة ويثورون عليها من خلال هذه الكتابات، كما أنّ هذه الأخيرة تعتبر شكلا من أشكال التّقد والتّمرد الاجتماعيّ، حيث عبّرت عن الفقر والتهميش والبطالة والهجرة والمخدرات، ومن هنا يمكن تقسيم الأسباب الاجتماعيّة إلى ثلاثة أقسام: منها ما يخصّ أسبابا متعلّقة



بالمجتمع الكبير والعلاقات القائمة فيه، حيث يعبر تلاميذ المدرسة من خلال هذه الكتابات أو الرسومات عن العلاقات الخاصة، مثل: علاقات الحب والغرام، أو العلاقات المجتمعية العامة، كاستعمالها أداة معبرة عن تشجيع فرق كرة القدم. أو تعبيرا عن ظاهرة الهجرة السرية التي يعتبرونها ملاذا من أجل تحقيق الطموح في أقصر وقت ممكن، فلا داعي للدراسة التي تستغرق وقتا طويلا، والمستقبل بعدها مجهول، فالمرهقون لما يرون نماذج بشرية حققت النجاح في بلاد الغير يتمنون الالتحاق بهذه البلاد من أجل تحقيق الآمال المعطلة. إضافة إلى أسباب تتعلق بالأسرة التي يعانون فيها من الفراغ، فراغ ناتج عن عدم إشراكهم في الرأي، وعن قلة اهتمام أوليائهم بهم، أو حالة عدم التوازن التي يعرفها أغلب التلاميذ الناتجة عن المستوى الثقافي للوالدين، والوضع الاجتماعي والاقتصادي للأسرة، وطريقة تعامل الأولياء مع الأبناء، ويدخل في هذا تفضيل ابن على الآخر، كل هذه عوامل مساعدة على جعل التلميذ يلجأ إلى الانتقام من جدران المدرسة وكل فضاء يتاح له التعبير من خلاله عن انشغالاته، فالمرهق من خلال رسمه على الجدران يقول للجميع: أنا موجود، إذ هو يعبر عن الضغط الموجود في الأوساط التي يعيش فيها. ونضيف إلى كل ذلك مجموعة من الأسباب الاجتماعية المدرسية، لأن الواقع المعيش داخل أسوار المدرسة هو الذي يفرض عليه طريقة في التعامل مع من يعاشرونهم فيها، من إدارة وأساتذة وزملاء، فالإدارة تفرض عليه قوانين معينة، تتلخص في عبارة يسمعونها دائما: لا تفعل، والأساتذة يلزمونهم بقوانين خاصة داخل قاعة الدرس، من أهمها التزام الصمت أثناء الدرس، وإلزامية إنجاز التطبيقات الفورية، والمشاركة والتفاعل، إلى غير ذلك من الواجبات التي يرى فيها إعباء لنفسه وقهرا لها، دون أن ننس تعامله مع زملائه الذين تتعدد ثقافتهم ونظرتهم للحياة، فقد تكون هذه النظرة تماثل نظرته، وقد تكون مخالفة لها، مما يوقعه في دوامة بين مسaire هذا والاستماع إلى ذلك، فيحدث عنده شيء من التوتر، بل

ومن الغضب والقلق الذي لا يجد له متنفسا غير جدران المدرسة وطاولاتها وكراسيها، ليكتب أو يرسم عليها رسائل موجّهة إلى كلّ هذه الأطراف، يتلخّص مضمونها في عبارة: أتركوني أفعل ما أشاء دون تقييد. وهذا ما يُفسّر ظاهرة العنف لديهم التي يؤكّد بعض الباحثين على أنّه "... كثيرا ما يكتسبها الإنسان في ظلّ بيئته، ونتيجة احتكاكه بالجماعة، خصوصا تلك التي تسود فيها أجواء الكبت والإحباط والقمع والصراعات...، الأمر الذي يساعد على التنشئة الاجتماعية للفرد وهو حامل لفيروس العنف في تلايب تلك التربية، حيث تتجلى في مظاهر العنف اللفظي أو الماديّ، وكذا المعنوي: كالتّهكّم أو الهجاء، أو المقاضاة أو العدوان والقتال..." (زهران، 1984م، صفحة 106).

نماذج ودلالات: لقد انتابنا شيء من الحيرة ونحن نريد اختيار نماذج من الكتابات أو الرسومات الحائطيّة الموجودة في المدرسة، بعد أن قمنا بتصوير بعض منها، وارتأينا أن نُدرج تحليلا لصورتين رُسمتا في إحدى المؤسسات التعلّيميّة، وكان الهدف من كلّ ذلك إبراز بعض الرسائل أو محاولة للكشف عن بعض ما في أنفس تلاميذ مدارسنا.

فالصّورة الأولى تصوّر لنا فتاة، يظهر من النظرة الأولى أنّ الذي رسمها ذكر، ذلك أنّه يصوّر لنا الفتاة الأنموذج التي يسعى مراهقونا للعثور عليها، وسبب الترجيح هذا يعود إلى كلّ تلك التّفاصيل التي سعى رسّامنا الصّغير إلى إبرازها فيها، وبشيء من الجرأة أحيانا. فقصّة شعر الفتاة تظهر أنّها ممّن يعلمن بأخر صيحات الموضة في هذا المجال، وانسيابيّة شعرها على عينيها اليسرى تظهر شيئا من شخصيّتها، ويظهر من تحت هذا الشّعر عين كبيرة حوراء مشدودة الطّرف بقلم أسود، في خقّة ورقة تُعجب في هذه الأيّام، مع أنف صغير أخنس يشبه أنوف المشاهير التي حصلوا عليها من على طاوولات جراحي التّجميل والتّحويل، والذي نجد تحته مباشرة فم صغير منفوخ الشّففتين على طريقة إحدى المطربات. هذا عن

الرأس وما حوى، ولو انتقلنا إلى لباس الفتاة فالسمة البارزة فيه أنه ضيق على جسد ممشوق عرف الصّغير كيف يصوّر أجزاءه، التي نرجّح أنّها مرسومة في ذاكرته، وذلك ما تفعله القنوات الفضائية والانترنت بعقول أبنائنا، وما ينتج عن قلة رقابة الأولياء. وفتاتنا هذه تظهر في البداية صغيرة وبريئة ولكنها ليست كذلك إذ أضفى إليها رسّامنا شيئاً من الجرأة حين رسم على خدّها جرحاً مُخاطاً معبّراً عن تلك الجرأة التي كثيراً ما يعشقها أبنائنا المراهقون المتمدرسون. وتبدو الفتاة أمامنا واقفة ويكتمل مظهر جسمها وملابسها التي ما فتئت تزداد قصراً لتشبه بذلك إحدى شخصيات الأفلام التي يشاهدها ويعشقها تلاميذ مدارسنا

ونلاحظ من خلال الصّورة شخصيّة الفتاة التي يحلم بها ابننا الصّغير والتي سعى وفعل ما بوسعه من أجل جعل صورتها أمام كرسيه ليملي عينيه بالنظر إلى وجهها البريء. وليجعل من المكان مكاناً مباركاً يقصده كلّ من يدخل الحجر. كيف لا وقد وضع في هذه الصّورة الخلطة السّحرية ذات المكونات السبعة للفتاة المثالية في هذه الأيام.

أمّا الصّورة الثّانية نجد فيها أسماء لثلاثة تلاميذ، هم: سعيد وطارق ونبيل، وأغلب الظنّ أنّ واحداً منهم رسم الصّورة وكتب أسماء زملائه مع اسمه عليها، أو أنّ ثلاثهم اشتركوا في رسمها. والصّورة نستطيع قراءتها قراءات متعدّدة لتعدّد الأجزاء الموجودة فيها، حيث أنّ أكبر جزء موجود فيها هو: آلة الكمان، تلك الآلة الموسيقية، التي تدلّ بالاشعور أنّ الموسيقى أصبحت تحتلّ الصدارة في عقول وقلوب شباننا، وإلى جانبها نجد شمعة مُضاءة على حمالة شموع صغيرة، تعبيراً عن الأمل والبحث عن المستقبل المُشرق، وعلى يسار الشمعة ورقة تبدو وكأنّها رسالة قديمة من فوقها ريشة تذكّرنا بماض بعيد جدّاً، وإلى جانبها دواة للحبر، وهذا ما يدلّ على الأصالة التي تسير جنباً إلى جنب مع المعاصرة عند بعض شباننا. ولو نظرنا إليها نظرة من زاوية سوداء سنقرأ وجهة نظر تقول أن طلب العلم أصبح

من الأمور القديمة التي تدعو إلى السّخرية والتّهكّم، وما دعانا إلى هذا التّأويل  
رؤيتنا لكتاب مسكين مرميًا على طرف الصّورة، ومن فوق الكتاب نرى كأسا  
مرفوع الهامة فيه وردة جميلة لازالت لم تدبل بعد، ربّما تدلّ على الجانب المشرق  
من الحياة.

ومع كلّ هذه الإشراقات نجد مسدّسا - سلاح للجريمة- يدلّ عل الحالة  
المزاجيّة التي يعيشها شبابنا إذ يستطيع في لمح البصر الانتقال من البياض إلى  
السّواد، إنّ فيها شيئا من العنف أخذه أبناؤنا من الأفلام التي يدمنون على  
مشاهدتها. وقبل الوصول إلى القمّة نجد ثنائيّة تثير الاستغراب: نسروثعلب، النّسر  
رمز للقوّة والثّعلب رمز للمكر والخديعة التي صارت من آخر صيحات الموضة هذه  
الأيّام، فالقويّ الكذوب المخادع هو الذي يستطيع العيش وسط أمثاله، أمّا  
المؤدّب الذي يحرص على عدم إيذاء البشر فهو رمز للسّخرية البشريّة، وعند  
وصولنا إلى القمّة نرى الصّورة مزدانة بأسماء تلاميذنا الكرام. تلك إذن قراءة  
لفحوى صورتين جداريتين رُسمتا في إحدى مؤسساتنا التّربويّة.

#### خاتمة:

وفي الأخير لا يسعنا سوى القول أنّ ظاهرة الكتابات أو الرسومات الحائطيّة  
ظاهرة عرفها الإنسان البدائيّ قبل وقتنا هذا بزمن بعيد، وقد كان يستعملها  
كأداة للتواصل مع غيره، في ظلّ انعدام اللغة بشكلها: المنطوق والمكتوب، وقد  
عاد إلها الناس في وقتنا الحاضر بسبب عدّة أسباب وعوامل، وأصبحت منتشرة  
خاصّة عند تلاميذ المدرسة، حيث وجدوا فيها متنقّسا للهروب من قسوة الحياة  
ومرارة الظّروف التي يعيشونها، ذلك أنّ سنّ المراهقة يجعل منهم أشخاصا مرهفي  
الإحساس، ثائرين على الغير، ممّا تسبّب في نشوء هذه الظّاهرة عندهم، ذكورا  
وإناثا.

وإن كان البعض يعتبر هذه الظاهرة فناً من الفنون ويدعو للتشجيع عليه، فإنّ البعض الآخر يعتبرها شكلاً من أشكال العنف الرمزي، لأنّها تعمل بالدرجة الأولى على تشويه المنظر العام، خاصّة في المؤسسات التربويّة، ومن أجل ذلك كان لزاماً علينا إيجاد بعض الحلول لهذه الظاهرة، يتمثّل أولها في تفعيل الحوار داخل الأسرة بالدرجة الأولى، ليتّم احتواء هؤلاء المراهقين ومنعهم من الانحراف بأيّ شكل من الأشكال.

أمّا فيما يخصّ الحلول التي يجب أن تتخذها المدرسة، فيجب تخصيص جدار يكتب فيه المتعلمون ما يريدون على أن يصبغ في نهاية كل فصل دراسي، مع تحفيزهم على ضرورة الاعتماد على الكتابات والرسومات الحائطيّة كفن لا كوسيلة للسب والشتم، إضافة إلى الاعتناء بالاقترحات الواردة منهم من أجل إفهامهم أن صوتهم له صدى، وتخصيص جوائز قيمة لأحسن غرافيتي من أجل تشجيعهم على الاستعمال الحسن للظاهرة، حتّى تصبح وسيلة تعبيرية علاجية لبعض المشاكل، لا أن تصبح مشكلة في حد ذاتها. مع ضرورة عدم عقاب التلاميذ، لأن العقاب يولّد أحقاداً جديدة، إضافة إلى إشراك أساتذة التربية التشكيلية في مهمة توجيه التلاميذ إلى اختيار الألوان المناسبة، بل والعبارات الملائمة ضمن فضاء تتكفّل المؤسسة التربوية بتوفيره لهؤلاء، مثلاً تخصيص يوم نهاية الفصل من أجل الرسم أو الكتابة على جدار معيّن، ثمّ تقييم هذه الرسومات أو الكتابات من طرف مختصين وتقديم جوائز عن أحسن رسم- كما قلنا سابقاً- إضافة إلى إيجاد نشاطات لا صفيّة كفيلة بامتصاص حالة القلق والتوتر التي يعاني منها المتعلمون.

## قائمة المراجع:

### القواميس

- Giroddet.J. (1994). Dictionnaire de la langue française. 1er edition. . Paris : Bordas .

### الكتب:

- برود، فيليب. (1993م). عنف الدولة والعنف الرافض في أوروبا الغربية، ترجمة: فؤاد الدهان، بحث ضمن أعمال الندوة المصرية- الفرنسية الخامسة. القاهرة.
- حمدوش، رشيد. (2009م). مسألة الرباط الاجتماعيّ في الجزائر المعاصرة إمتدادية أم قطيعة. الجزائر: دار هومة للنشر.
- زهران، حامد. عبد السلام. (1984م). علم النفس الاجتماعيّ. القاهرة: دار عالم الكتب.
- الزيديّ، المنجي، ثقافة الشارع، دراسة سوسيوثقافية في مضامين ثقافة الشباب، دط، . تونس: مركز النشر الجامعي.
- أبو صالح، الألفي. (1985م). الموجز في تاريخ الفن العام. مصر: دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.
- عفيفي، الهنسي. (1997م). من الحداثة إلى ما بعد الحداثة في الفن . مصر: دار الكتاب العربي للطباعة، القاهرة.

### المقالات

- نصر. الدين، جابر، & براهيمي ، الطاهر. (2003). العنف الرمزي في ضوء الكتابات الحائطية - دراسة وصفية تحليلية - في العنف والمجتمع. مداخل معرفية متعدّدة، أعمال الملتقى الدوليّ الأول. 10/09/مارس 2003. (p. 305) جامعة بسكرة، الجزائر: دار الهدى للنشر والطباعة والتوزيع.

### الرسائل والأطروحات

- جبار، كنزة. (2013-2014). اتجاهات الطلبة الجامعيين نحو الكتابات الجدارية - دراسة ميدانية لعينة من الطلبة الجامعيين . مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة.